أين تكون إذا نُودي للصلاة؟

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى الواهب من غير إحصاء، كاشف السُّوء والضَّراء.. والصلاة والسلام على صفوة الأتقياء، وعلى آله وأصحابه قدوة الأولياء.

أخي المسلم: ها هو المنادي ينادي: (حي على الصلاة، حيَّ على الفلاح)؛ فترى الناس في إجابته على قسمين:

* قسم سارع وبادر إلى إجابة النداء، فأقبل نحو بيوت الله تعالى.

* وقسم أعرض وغفل؛ فلم يُجب ذلك النداء!

فحاسب نفسك أيها العاقل: مع أي القسمين أنت؟!

وها هو المنادي ينادي خمس مرات في اليوم والليلة.. فأين تكون إذا نادى المنادي إلى الصلاة؟!

وهل تفكرت يومًا في معنى: (حي على الفلاح؟!) هذه الكلمة التي لطالما سمعتها تتردَّد في أذنك كثيرًا.

حقًا لو تأمل الناس معنى هذه الكلمة بقلوبهم؛ لما رأيت متخلِّفًا عن الصلاة في بيوت الله تعالى!

ولكن لما انصـــرفت القلــوب غافلة عن معنى هذه الكلمة العظيمة؛ رأيت الكثـيرين لا يلتفتون إلى نداء الصلاة، وهو يناديهم إلى الفلاح!

قـال ابن عبـاس رضي الله عنهمـا: (مَنْ سمع المنادي فلم يُجبْ، لم يَـرِدْ خـيرًا، ولم يُرَدْ به خيرٌ!).

وقد امتدح الله تعالى أقوامًا بمسارعتهم إلى إجابة النداء بالصلاة..

فقال الله تعالى: ﴿**فِي بُيُـوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَـبِّحُ لَـهُ فِيهَا بِالْغُـــدُوِّ وَالْآَصَــالِ * رِجَــالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَـارَةٌ وَلَا بَيْـعٌ عَنْ ذِكْـرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَـاةِ يَخَـافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُـوبُ وَالْأَبْصَـارُ * لِيَجْـــزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَـــنَ مَا عَمِلُــــوا وَيَزِيـدَهُمْ مِنْ فَضْـلِهِ وَاللَّهُ يَـرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: 36-38].

قال ابن عباس: (كانوا رجالاً يبتغـون من فضل الله؛ يشترون ويـبيعون، فـإذا سـمعوا النِّداء بالصلاة، ألقوا ما بأيديهم، وقاموا إلى المسجد فصلُّوا).

لقد ســــيطرت الغفلة على قلـــــوب

الكثيرين؛ فـتراهم إذا نـادى منـادي الصـلاة؛ غافلين.. لاهين!

ولكن إذا نادى منـادي الوظيفة والـدوام؛ تـــراهم مســـارعين مبـــادرين؛ زرافـــات ووحدانًا!!

عجبًا لك أيها الغافـل! لو حاسـبت نفسك لعلمت أنك في خسارة عظيمة!

يناديك منــادي ملك الملــوك.. من بيــده خيرك وفلاحك.. فلا تجيب!!

ويناديك منادي الدنيا فتجيب!!

ولو فكَّرت فيما ينفعــك؛ لعلمت أنَّك في غرور!

قـال أبو هريـرة : (لأن تُملأ أذن ابن آدم رصاصًا مذابًا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب!).

عجبًا لامـــرئ ســـمع: (حي على الفلاح) فتشــاغل عنها بالــدنيا.. وضــيَّع على نفسه الربح والفلاح!

ولو كـان عـاقلاً لعلم أنه اختـار الحجـارة على الدُّر!

تمر ساعات عمره، وهو غافل عن منادي الفلاح!

قال قتادة: (ما كان للمـؤمن أن يُـرى إلاَّ

في ثلاثة مــواطن: مســجد يعمــره، وبيت يستره، وحاجة لا بأس بها).

أخي المســلم: هــذا هو عمل المســلم الذي ينبغي أن يعيشـه، وما سـوى ذلك فهو من فضول الأمور، الـتي يجب الحـذر منهـا، وليت الغــــافلين عن إجابة نــــداء الفلاح حاسبوا أنفسـهم، وأخلصـوا في مسـاءلتها.. إذًا لوقفــوا على العيــوب.. ولســارعوا إلى الخيرات!

ولكن الغفلة ضــربت على قلــوبهم بقفل محكم.. وغطاء كثيف! وأين هؤلاء من حــال سلف هذه الأمة ؟!

* عن أبي بن كعب قــال: كــان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسـجد منـه، وكـان لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له، أو قلت لـه: لو اشــتريت حمــارًا تركبه في الظَّلمــاء، وفي الرَّمضـاء. قـال: ما يسـرني أنَّ مـنزلي إلى جنب المســـــجد؛ إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجــوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقـال رسـول الله : **«قد جمع الله لك ذلك كله»**. [رواه مسلم].

* وقيل لسـعيد بن المسـيب رحمه اللـه: إن طارقًا يريد قتلك فتغيب. فقــال: أبحيث

لا يقـــدر الله عليَّ؟! فقيل لـــه: اجلس في بيتــك. فقــال: أســمع حي على الفلاح، ولا أجيب؟!

* وذكر أن حاتمًا الزاهد رحمه الله فاتته الجماعة مـرَّة، فعـزَّاه بعض أصـحابه، فبكى وقال: «لو مات لي ابن واحد لعزَّاني نصف أهل بلخ! والآن قد فـــاتتني جماعـــة، فما عزَّاني إلاَّ بعض أصـحابي، وإنه لو مـات لي الأبنـاء جميعًا لكـان أهـون عليَّ من فــوات هذه الجماعة!).

أخي: ذلك هو حــــال الصـــــالحين في صـــدقهم مع الله تعـــالى.. فنـــالوا جـــزاء لأعمـــالهم القبـــول في الأرض.. والتوفيق للصالحات..

فأمر الجماعة شديد، وقد ندب إليه النبي ﷺ وشــدَّد فيــه.. قــال رســول الله ﷺ: «**إنَّ أثقل صــلاة على المنــافقين صــلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبـــــــوًا، ولقد هممتُ أن آمر بالصـــلاة فتقـــام، ثم آمر رجلاً فيصـلِّي بالنَّاس، ثم أنطلق معي برجــال معهم حُـزَمٌ من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصَّلاة، فأُحرِّق**

عليهم بيـوتهم بالنَّار». [رواه البخـاري ومسلم، واللفظ لمسلم].

وأتى النـــبي رجل أعمى، فقـــال: يا رسول اللـه، إنه ليس لي قائد يقـودني إلى المسجد، فسأل رسول الله أن يرخِّص له فيصــلي في بيتــه، فــرخَّص لــه، فلما ولَّى دعـــاه، فقـــال: «**هل تســـمع النـــداء بالصـلاة؟**» قـال: نعم. قـال: «**فـأجبْ**». [رواه مسلم].

وفَقَد عمر رجلاً في صـــلاة الصـــبح، فأرسل إليــه، فجــاء، فقــال: (أين كنت؟) قال: كنت مريضًا، ولـولا أن رسـولك أتـاني لما خرجت. فقـال عمـر: (فـإن كنت خارجًا إلى أحد؛ فاخرج للصَّلاة!).

أخي المسـلم: من هـذه النصـوص تفهم أهمية شهود صـلاة الجماعـة، والـتي تهـاون بها الكثيرون، غـير متلفـتين إلى ما ورد في شأنها من ترغيب وترهيب!

فيا من ســمعت النــداء فلم تجب! بــأي شيء انشغلت؟!

وهل تفكَّرت يومًا فيما أنت فيه من الغفلة؟!

فـــإن لم تتفكَّر في ذلـــك.. هل نســـيت

فضل الجماعة؟!

مساكين أولئك الـذين ضـيَّعوا ذلك الخـير العظيم الــذي يفــوز به من شــهد صــلاة الجماعة!

* قـال رسـول الله : «من توضأ فأسـبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاَّها مع الإمام، غُفر له ذنبه!» [رواه ابن خزيمة/ صحيح الترغيب للألباني: 407].

* وقال رسول الله : **«من تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيـــــوت اللــــه؛ ليقضي فريضة من فــــرائض اللـه، كـانت خطوتـاه إحـداهما تحُـطُّ خطيئة، والأخــرى ترفع درجة»**. [رواه مسلم].

* وقـــال رســـول الله : **«إن الملائكة تصـــــلي على أحـــــدكم ما دام في مجلســـه، تقـــول: اللهم اغفر لـــه، اللهم ارحمه، ما لم يُحْـدِثْ، وأحـدكم في صـلاة ما كـانت الصـلاة تحبسه»**. [رواه مسلم].

* وقـــــال النـــــبي : **«من غـــدا إلى المســـجد أو راح، أعـــدَّ الله له في الجنَّة نُــزُلاً كلما غـدا أو راح!»**. [رواه

مسلم].

فيا من أعرضت عن إجابة نـــداء الفلاح؛ لقد فاتك هذا الخير كلـه! فـإلى مـتى وأنت معرض؟!

حاسب نفســك.. واعلم أنك إن ضــيعت هــذا الخــير؛ فــأنت على خســران.. وغفلة عظيمة!

فوائد عظيمة يجنيها الـــذين يشـــهدون الجماعة في بيوت الله تعـالى، ومما سـاقه الحافظ ابن حجر من فوائد صلاة الجماعة:

* صلاة الملائكة عليه واستغفارهم له.
* شهادة الملائكة له.
* جواب الإمام عند قوله: سمع الله لمن حمده.
* الأمن من السهو غالبًا.
* حصول الخشـوع، والسَّـلامة عما يُلهي غالبًا.
* احتفاف الملائكة به.
* إظهار شعائر الإسلام.
* إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة، والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل.
* السلامة من صفة النفـاق ومن إسـاءة الظن به.

* قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلوات.

* الإنصات لقـراءة الإمـام، والتـأمين عند تأمينه؛ ليوافق تأمين الملائكة.

قال رسـول الله ﷺ: «**إذا قـال الإمـام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُـوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّـالِّينَ﴾ فقولــوا: آمين. فمن وافق قــول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».**

أخي المســلم: إذا نــاداك المنــادي إلى الصــلاة فــأنت مــدعُوٌّ إلى ضــيافة ملك الملوك.. وأغنى من أعطى ووهب!!

قال عمر بن الخطاب ؓ: (المساجد بيوت الله في الأرض، والمصــلِّي فيها زائر اللــه، وحُقَّ على المزُور أن يكرم زائره).

فيا من ســمعت النــداء وأعرضت عن إجابته! أتُعرض عن ضيافة ملك الملوك؟!

فلو دعاك ملك من ملوك الدنيا لسارعت إلى تلبية دعوته وأنت فَرِحٌ مسرور!

فـانظر أيها الغافل في حالـك.. وحاسب نفسك اليــوم قبل أن يُحــال بينك وبين الصالحات!

فإذا سمعت النـداء بــ (حي على الفلاح) بــادرت إلى تلبيتــه؛ لتكــون في ضــيافة

الرحمن رب العرش العظيم!

فإن خير مكان قصدته بيوت الله تعـالى؛ فهي منازل المتقين.. ومأدبُة المؤمنين.

كتب سـلمان الفارسي إلى أبي الـدرداء رضي الله عنهمـا: (يا أخي عليك بالمسـجد فالزمــه، فــإنِّي سـمعت النــبي ﷺ يقــول: **«المســـــجد بيت كل تقيٍّ».** [رواه الطــبراني وغــيره/ السلســلة الصــحيحة: 716].

ويقال: «حصون المؤمن ثلاثة: المسـجد، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والمؤمن إذا كـان في واحد من ذلك فهو في حصن من الشيطان».

فيا معرضًــا عن أفضل بقعــة! اعلم أنك لن تجد مكانًا أشرف وأفضل من بيوت الله تعالى..

قــال رســول الله ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مســــاجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**». [رواه مسلم].

أخي المسـلم: هل أنت من أولئك الـذين تشتاق قلوبهم إلى بيوت الله تعالى؟!

فـإن المسـلم الصـادق تجـده في شـوق إلى عمارة بيـوت الله تعـالى.. وانأ ببشـارة

النبي يوم أن قال: «**سبعةٌ يظلهم الله تعـــالى في ظله يـــوم لا ظل إلى ظله**». فـذكر منهم: «**ورجل قلبه معلق في المساجد**» [رواه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن حجر: (وظـاهره أنه من التعليــق؛ كأنه شــبهه بالشــيء المعلق في المسجد؛ كالقنـديل مثلاً، إشـارة إلى طـول الملازمة بقلبـــه، وإن كـــان جســـده خارجًا عنه...).

فتأمل في قلبك أيها المسـلم؛ هل يكـون معك في المســجد، وإذا خـــرجت حنَّ إلى العــودة مــرَّة أخــرى؟ أم أنَّك تتركه خــارج المسجد، فإذا خرجت صحبك؟!

إن الشــوق إلى عمــارة بيــوت الله دليل على الفلاح.. وبرهان على التوفيق..

قـــال عـــدي بن حـــاتم : (ما دخل وقت صلاة، حتى أشتاق إليها).

وقال سعيد بن المسيب رحمه اللــه: (ما دخل علي وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتهـا، ولا دخل علي قضـــاء فـــرض إلا وأنا إليه مشتاق).

وسعيد هـذا هو القائـل: (من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة، فقد ملأ الــبر

والبحر عبادة!).

فرضي الله عن أولئك الأطهـار؛ شـغلتهم الطاعـــــات عن دنيا الغـــــرور.. وارتفعت هممهم إلى تحصـــيل الثـــواب الموفـــور.. وأعدُّوا الصالحات لشدائد يوم النشور..

فـأين أنت أيها الغافل من هـذه المنـاقب العليَّة؟!

يا من شغلتك الدنيا بسرابها الكاذب!

ويا من غرَّتك الأماني ببريقها الخدَّاع!

أفق من سـكراتك قبـل أن لا تفيـق! واعمـل ليـوم موتـك قبـل أن لا تعمـل! وحاسب نفسك قبل أن تحاسب!

تزوَّدْ من معاشك للمعاد
وقُمْ لله واعْمَلْ خيرَ زادِ

ولا تجمع من الدُّنيا كثيرًا
فإنَّ المالَ يُجمعُ للنَّفادِ

أترضى أن تكون رفيقَ قومِ
لهم زاد وأنت بغير زاد

أخي المســـلم: إن التخلف عن الجماعة شعار الغافلين.. وعلامة المنافقين.. فاحــذر أن تكـون من أولئك الـذين إذا نـادى منـادي الفلاح انصرفت قلوبهم إلى هواها وتخبَّطت في شهواتها!

فيا من تخلَّفت عن إجابة منــادي الفلاح! اعلم أنك متخلِّق في ذلك بِخُلُــقٍ من أخلاق المنافقين..

قال عبد الله بن مسعود : (من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا؛ فليحافظ على هـؤلاء الصَّلوات حيث يُنـادى بهنَّ؛ فـإنَّ الله شـرع لنــبيكم ســنن الهُــدى، وإنهنّ من ســنن الهُــدى، ولو أنكم صــليتم في بيــوتكم كما يصلي هذا المتخلِّف في بيتـه؛ لـتركتم سـنَّة نبيكم، ولو تـركتم سـنَّة نـبيكم لضـللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهــــور ثم يعمد إلى مسجد من هـذه المسـاجد إلا كتب الله له بكل خطـوة يخطوها حسـنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سـيئة، ولقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها إلاَّ منافق معلوم النفــاق، ولقد كـان الرجل يُـؤتى به يُهـادى بين الـرَّجلين حتى يُقام في الصَّف!).

أخي المسلم: هذه وصية واحد من أولئك الــبررة من أصـحاب النـبي ترشـدك إلى فضل وشــــرف صــــلاة الجماعــــة، وحــــال المتخلفين عنها..

وليت أولئك الـــــذين غفلــــوا عن فضل شـهود الجماعـة؛ نظـروا في هـذه الوصـية

بعين الفهم والتَّدبُّر!

(أين تكـون إذا نـودي للصـلاة؟!) سـؤال ينبغي أن يسأله الكثيرون لأنفسهم.. وليكن هذا السـؤال مقرونًا بالصـدق.. والمحاسـبة الجحادة..

ولكن الكثـــيرين غفلـــوا عن محاســـبة أنفســهم؛ فتمــادى بهم العصــيان.. وضــلُّوا الطريق!

فحاسب نفسك أيها المسلم..

خمس مرات في اليوم والليلة يـتردد في أذنــك: (حيَّ على الفلاح!) فــإن لم تكن من المجيبين؛ فما أشد غفلتك!!

فلتكن من أولئك المســـارعين إلى إجابة نداء الفلاح.. المـتزوِّدين بخـير زاد.. واطـرد سلطان الغفلة من قلبك.. واستعن بمــولاك تبــارك وتعــالى.. عسى أن تكــون من أهل الفلاح في الدنيا والآخرة..

والحمد لله تعــالى.. والصــلاة والســلام على النبي محمد وآله وصحبه..

* * * *